الفصل السادس
الجغرافيا والرحلات

ف٩٥ : الوراق - البكري.

ف٩٦: عبد المنعم الحميري - أبو حامد الغرناطي.

ف٩٧: الإدريسي.

ف٩٨: ابن جبير.

ف٩٩: العبدري - الجغرافيون في العصر الغرناطي

كان الحج إلى مكة هو السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الأندلسيين، ومن ثم أُولعوا بالتنقل والأسفار ولعًا شديدًا، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن ظهر من بينهم من ألّف في وصف رحلته أو في صفة نواحي المعمور. وقد وضع بعض أولئك الأندلسيين مؤلفات جغرافية خالصة (مثل البكري وأبي حامد الغرناطي والإدريسي)، بينما سجل بعضهم لتفاصيل رحلاتهم أوصافاً كاملة، أو غير كاملة، كما يصنع الرحالة المحدثون عندما يسجلون يومياتهم (ومن أولئك ابن جبير والعبدري).

ف٩٥ - الوراق - البكري

بدأ الاهتمام بالتأليف في الجغرافية عند الأندلسيين في عصر الخلافة، فقد ألّف محمد بن يوسف الوراق (يكنى أبا عبد الله ويلقب بالتاريخي، ٢٩١-٣٦٢/٩٠٤-٩٧٣) ديوانًا ضخمًا في «مسالك إفريقية وممالكها». وأصل الوراق من وادي الحجارة، وانتقل آباؤه إلى إفريقية ونشأ بالقيروان ودرس بها، ثم عاد إلى الأندلس وأقام بها إلى أن توفي بقرطبة، وكان ذا حظوة لدى الحكم المستنصر. وقد اعتمد البكري على كتابه هذا اعتمادًا عظيمًا.

وإلى جانب ذلك صنَّف الوراق عن «إفريقية وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتبًا جمة، وكذلك ألّف أيضًا في أخبار تيهرت وورهان وتنس وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها تواليف حسانًا»[1].

بيد أن أول جغرافي أندلسي جليل الشأن هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ولد في قرطبة في سنة ٤٣٢/١٠٤٠ وتوفي فيها سنة ٤٨٧/١٠٩٤ وهو من بيت شرف وإمارة، فقد كان آباؤه أصحاب ولبة وشلطيش، إذ استبدوا بأمورهما بعد سقوط الخلافة، وظلوا في إمارتهم حتى غصبهم المعتضد بن عباد ولبةَ

واضطرهم إلى التنازل لـه عن شلطيش لقاء مال دفعه إليهم، فلجأ أبو البكري إلى قرطبة وأقام في ظل بني جهور أصحابها، وصحبه ابنه أبو عبيد - وكان شابًّا يافعًا- وهناك لقيه ابن حيان المؤرخ وتوسم فيه النجابة والاستعداد للطلب. وتوفي سنة ٤٥٦/ ١٠٦٤، فانتقل أبوّ عبيد إلى المرية وعرف صاحبها المعتصم محمد بن معن بن صمادح (ف٣٣)، فبعثه في مهمة إلى المعتمد بن عباد في إشبيلية، فلما استقر فيها حُبِّب إليه العيش في كنف المعتمد. ويذكر ابن بشكوال أن البكري كان يحب الكتب حبًّا جمًّا؛ حتى كان يمسكها في قماش غالٍ إكرامًا لها وصيانةً؛ ويبدو أنه كان ذا هوى شديد بالشراب، فبعض أشعاره يدل على ذلك.

ويذهب دوزي إلى أن البكري أكبر جغرافي أنجبه الأندلس؛ ولم يبرح البكري الأندلس، ولهذا فإن مؤلفاته إنما هي في الواقع جمع وتصنيف من مؤلفات غيره مما لا نجده الآن. وقد أظهر البكري في تصنيفه قدرة على الترتيب والتنظيم وموهبة عالية. وأكبر كتبه هو المسمى «المسالك والممالك»، ولم يبقَ لنا منه إلا جزء في صفة المغرب؛ وهو يذكر فيه المسالك (الطرق) التي تؤدي من ناحية إلى ناحية، ويصف المدائن والقرى التي تربطها، ويضمِّن كلامه أخبارًا غريبة نافعة. وقد بدأ كاترمير بترجمة الجزء الخاص بالمغرب، وأتمه البارن دي سلان (نشر الأصل العربي في سنة ١٩١١، والترجمة الفرنسية في سنة ١٩١٣) ولم يعثر على الجزء الخاص بالأندلس منه إلى الآن.

وكذلك أثنى النقاد والباحثون على كتاب البكري الآخر المسمى «معجم ما استعجم» (طبعه فستنفلد طبع حجر في سنة ١٨٧٦، وطُبع في القاهرة في جزءين سنة ١٩٤٠)، وممن أثنى عليه دوزي إذ يقول : «إننا بينما نجد غيره من الجغرافيين يقعون في خطأ بعد خطأ، ويناقضون أنفسهم بين موضع وموضع، إذ بنا نجد معلومات البكري واضحة ناصعة، وكتاباته توصف بعبارة واحدة: إنها صادقة».

وقد ترامى إلى ظن فرانشسكو خافيير سيمونيت أن البكري لا بد أن يكون قد عرف كتاب «أصول الكلمات Etimologias » لإيزودور الإشبيلي مترجمًا على العربية؛ لأن أوصاف بعض النواحي في كتاب إيزودور تنطبق على أوصاف البكري لها. فالجزء الذي يصف فيه البكري جزائر فُرْطُنَاطَش isias Fortunatas - المسماة بالسعادات أو جزائر كناريا - يبدو كأنه مأخوذ عن إيزودور.

وللبكري - إلى جانب ذلك - كتب أخرى في اللغة والطب والدين، مثل «كتاب النبات» (بالأندلس، ذكره ابن خير)، وشرحه لأمالي أبي على القالي المسمى «سمط اللآلي» (ف٥٥)؛ وقد ضاعت هذه الكتب ما عدا الأخير منها فقد نُشر في القاهرة[٢].

ف٩٦- عبد المنعم الحميري - أبو حامد الغرناطي

أشار المقّري في «نفح الطيب» إلى معجم جغرافي يسمى «الروض المعطار في خبر الأقطار لعبد المنعم الحميري»، ونقل منه قطعًا تدل على مادة طيبة، ووقع هذا الكتاب في يد المقريزي فاختصره في مجلد صغير. لوظل هذا الكتاب مجهولاً؛ حتى عثر عليه الأستاذ ليفي بروفنسال، فقام بانتخاب المادة الخاصة بالأندلس منه، ونشرها في معجم جليل الفائدة سنة ١٩٣٨، مع ترجمة فرنسية وتعليقات ضافية وفهارس وافية؛ فأصبح هذا الكتاب الآن من خير المراجع التي يعتمد عليها الباحث في تاريخ الأندلس وجغرافيتها.

ومواد هذا الجزء المنشور عن الأندلس مرتبة ترتيبًا أبجديًا، وهو يضم معظم الأعلام الجغرافية الهامة التي يردُ ذكرها في كتب الأندلسيّين. وقد حرص الحميري على أن يورد ما اتصل بعلمه من أطراف التاريخ عن الموضع الذي يتكلم عنه، وأكثر هذه المادة التاريخية يتعلق بعصر الموحدين الذي سقطت خلاله معظم حواضر الأندلس الكبيرة في أيدي النصارى. والحميري يعني بتفصيل ذلك على نحو فريد وفي

أسلوب عربي رصين، مما يجعل لهذا الكتاب أهمية كبرى للمؤرخ والجغرافي على السواء[٣].

وقد كان من المظنون أن الحميري عاش في عصر المعتمد بن عباد، ولَكِن ظهر الآن أنه من أهل القرن التاسع الهجري، فقد توفي سنة ٨٦٦/١٤٦١[*].

أما أبو حامد الغرناطي[٤] (محمد بن عبد الرحمن بن سليمان القيسي يكنى أيضًا أبا محمد وأبا بكر، ٤٧٣-٥٦٤/١٠٨٠-١١٦٩) فقد كان رحَّالة لا يمل الأسفار. زار صقلية سنة ٥١١/١١١٧، ومنها ذهب إلى مصر، ثم غادرها إلى ناحية بحر الخزر، ووصل إلى ضفاف نهر الفولجا، ثم طاف ببلاد الخزر والبلغار ووصل ثلاث مرات إلى البحر الأسود، وزار عاصمة خوارزم، ثم زار بغداد مرة ثانية في سنة ٥٥٥/١١٦٠، وأقام فيها ردحًا من الزمن ألَّف فيه للوزير يحيى بن محمد بن هبيرة كتاب «المُعْرب عن عجائب المغرب». وأبو حامد مشهور بكتابه المسمى «تحفة الأصحاب ونخبة الإعجاب» ولدينا منه نسخ مخطوطة كثيرة. ويتألَّف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب:

الأول: «في صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها».

والثاني: «في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان».

والثالث: «في صفة البحار وعجائب حيواناتها».

والرابع: «في صفة الحفائر والقبور» وما إلى ذلك. وللغرناطي كذلك رسالة أخرى في جغرافية المعمور تسمى «تحفة الكبار في أسفار البحار».

وكان أبو حامد طُلَعَة بطبعه؛ ولَكِنَّ حظه من الثقافة والنقد كان قليلاً، ومن

(*) عدلت عبارة المؤلف هنا بما يناسب معلوماتنا عن عبد المنعم الحميري وكتابه بعد نشره.

ثم يكثر في كلامه ذكر الخرافات والخوارق، وقد أخذ القزويني عنه كثيرًا من هذه المادة[٥].

ف-٩٧ - الإدريسي

كان الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي، ٤٩٣ - ٥٦٤ /١٠٩٩-١١٦٩) حفيدًا لإدريس الثاني الحمودي أمير مالقة، ويبدو أنه درس في قرطبة ثم زار كثيرًا من نواحي الأندلس والمغرب ومصر وآسيا الصغرى، ثم زار صقلية ؛ حيث أعجب به ملكها رُجار[٦] (روجر الثاني النرماني، من بيت هوتفيل النرماني فاتحي الجزيرة) فأقام عنده، وكان رُجار من هواة الفلك فوجد في الإدريسي خير معين له على إشباع رغبته من ذلك العلم.

ولمّا كان رجار قد رغب في أن يكون لديه «كتاب في صفة الأرض، مؤلف عن مشاهدة مباشرة لا مستخرج من الكتب» فقد تصدى الإدريسي لوضع ذلك الكتاب، وانتخب نفرًا من أذكياء الرجال وبعثهم في شتى النواحي يصاحبهم الرسامون، وجعل يتلقى ما يعودون به ويسجله أولاً بأول. وفرغ من كتابه سنة ٥٤٨ / ١١٥٤، ثم أضاف إليه أجزاءً أخرى فيما بعد وسماه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، ويعرف كذلك «بالكتاب الرُّجاري». وقد ألّف الإدريسي كذلك «كتاب الممالك»، وقد اعتمد عليه أبو الفدا؛ وله كتاب في «الأدوية المفردة»، ذكره ابن سعيد أفاد منه ابن البيطار، وقد ضاعت هذه الكتب الأخيرة.

وقد عُرف «الكتاب الرجاري» في أوروبا منذ زمن طويل، عن طريق موجز له طُبع في روما سنة ١٥٩٢. ثم قام اثنان من المارونيّين هما جبريل سيونيتا Gabriel Sionita ويوحنا هزرونيتا Juan Hesronita بترجمة هذا المختصر إلى اللاتينية، ونشراه في باريس سنة ١٦١٩ باسم «جغرافية النوبة Geographia Nubiensis » . وقد قام دوزي

ودي خويه بنشر الجزء الخاص بإفريقية والأندلس من «نزهة المشتاق»، معتمدين على مخطوط بالمكتبة الأهلية في باريس؛ وأرْفَقَا النص بترجمة فرنسية عنوانها:

Description de l'Afrique et de l'Espagne (ليدن ١٨٦٦)، وجعلا لهذا الجزء عنوانًا خاصًّا هو «المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق»؛ ثم عاد سافدر فنشره نشرًا مصححًا معدلاً في مدريد سنة ١٨٨١[٧].

وقد لُقب الإدريسي «أسطرابون العرب»، وهو يعتبر - بناء على ذلك - أكبر جغرافي أطلعته العصور الوسطى. نعم، إننا نجد في كتابه أخطاء في حساب المسافات والأبعاد والأوصاف؛ ولكنْ لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن الإدريسي كتب كتابه هذا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي وأن موت رجار وما أعقبه من القلاقل في دولة النورمان بصقلية، حالت بين الإدريسي وبين أن يُدخل على كتابه التعديلات الأخيرة الواجبة.

ثم إن الكتاب حافل بالمعلومات الصحيحة في الغالب، ومادته وافرة عن البلاد الأوروبية التي تسكنها شعوب نصرانية، على أنه يضم بعض أطراف من الخرافات التي كانت أوسع ما تكون انتشارًا في عصره.

والجزء الخاص بجزيرة الأندلس عنده يبدأ بوضعها في الإقليم الرابع عند «البحر المظلم المحيط» ثم يستطرد إلى وصف الجزيرة[٨]، بادئًا بطليطلة إذ هي «مركز لجميع بلاد الأندلس، وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة بين غرب وجنوب تسع مراحل، ومنها إلى لشبونة غربًا تسع مراحل، ومن طليطلة إلى شنت ياقوت على بحر الإنقليشيين تسع مراحل، ومنها إلى جاقا شرقًا تسع مراحل، ومنها إلى مدينة بلنسية بين شرق وجنوب تسع مراحل، ومنها أيضًا إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل»[٩]. ثم يصف بعد ذلك الجزء الجنوبي من الجزيرة، فيتكلم عن أقاليم

البحيرة Provincia del Legos de la Janda [١٠] وشذونة الشرف والكنبانية (وفيه من المدن قرطبة وغيرها)[١١] وأشونة ورية والبشارات وبجانة وإلبيرة. ثم يتناول الجزء الشرقي، وفيه أقاليم فريرة وتدمير وكونكة وشاطبة[١٢] ومُرْ بيطر (يكتبها مُرياطر) والبُنت[١٣] وشنت مارية المنسوبة لابن رزين (السهلة). ثم ينتقل إلى الكلام عن غرب الأندلس، فيذكر أقاليم الولجة Encinas والقفر Algarbe والقصر (ماردة) والبلاط ومدلين Medelin وأشبونة. ثم يلي ذلك «الوسط»، وفيه أقاليم الشارات Las Sierras (طلبيرة وطليطلة...إلخ) وأرنيط Arnedo (وفيه قلعة أيوب وقلعة دروقة وسرقسطة ووشقة وتطيلة)، ثم «إقليم الزيتون» (جيان) Provincia de las Olviares ثم يلي ذلك «إقليم البُرتات» Provincia de los Pirineos، وأخيرًا نجد في ناحية الغرب إقليم مرمرية Marmaria وفيه حصون وقلاع كثيرة [خالية][١٤].

وإليك مثالاً من وصف الإدريسي، نتخيره من صفته لإقليم طليطلة:

«ومدينة طليطلة من طلبيرة شرقًا وهي مدينة عظيمة القطر كثيرة البشر حصينة الذات، لها أسوار حسنة، ولها قصبة فيها حصانة ومنعة، وهي أزلية من بناء العمالقة، وقليلاً ما رُئِيَ مثلها إتقانًا وشماخة بنيان. وهي عالية الذرى حسنة البقعة زاكية الرقعة، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى تاجُه، ولها قنطرة من عجيب البنيان، وهي قوس واحدة، والماء يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جري، ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعًا، وهي تُصعد الماء إلى أعلى القنطرة، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة.

«ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم وموضع قصدهم، ووجد أهل الإسلام فيها عند افتتاح الأندلس زخائر كادت تفوق الوصف كثرة: فمنها أنه وجد بها سبعون تاجًا من الذهب مرصَّعة بالدُّر وأصناف الحجارة الثمينة، ووجد بها ألف سيف مجوهر ملكي، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق، ووجد بها

من أنواع آنية الذهب والفضة ما لا يحيط به تحصيل، ووجد بها مائدة سليمان بن داود، وكانت فيما يذكر من زمردة، وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة. ولمدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار جارية مخترقة، ودواليب دائرة وجنات يانعة وفواكه عديمة المثال، لا يحيط بها تكييف ولا تحصيل، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة تكنفها... »[١٥].

ومن المراجع التي اعتمد عليها الإدريسي في تأليف كتابه كتاب يسمى «نظام المرجان في المسالك والممالك» لابن الدالي، أحمد بن عمر بن أنس بن دلهات (والدلالي نسبة إلى دلاة Dalias من أعمال المرية)، وقد حج إلى مكة سنة ١٠٠٢/٤٠٧ ومات سنة ١٠٨٥/٤٧٨[١٦].

فـ٩٨- ابن جبير

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ربيع الأول ٥٤٠- شعبان ٦١٤/ سبتمبر ١١٤٥ - نوفمبر ١٢١٧)، أصل قومه من شاطبة وَلَكِنَّه وُلد في بلنسية. درس الفقه والحديث والأدب والشعر من سن مبكرة وبرع فيها، واتصل بالموحدين وكتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن عاملهم على غرناطة، «فاستدعاه ؛ لأن يكتب عنه كتابًا وهو على شرابه، فمد إليه يده بكأس فأظهر الانقباض وقال: «يا سيدي، ما شربتها قطُّ» فقال: «والله لتشرين منها سبعًا!» فلما رأى العزيمة شرب سبعة أكؤس فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره، فحمله إلى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير، ثم رغب للسيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج تلك السنة، فأسعفه وباع ملكًا له تزود به، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر»[١٧].

انفصل ابن جبير من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية [الأولى][١٨] في ٩ شوال ٥٧٨/

٢ فبراير ١١٨٣. وركب البحر من جزيرة طريف إلى سبتة والإسكندرية، ولما كان الطريق من مصر إلى بيت المقدس في يد الصليبيين في ذلك الحين، فقد توجَّه ابن جبير إلى قوص بصعيد مصر، ومنها إلى عيذاب ؛ حيث عبر البحر الأحمر إلى جدة، وقصد مكة وحج إلى بيت الله الحرام، وزار المدينة لقضاء العمرة. ثم توجه إلى الكوفة وبغداد والموصل وأقام فيها بعض الوقت، ثم قصد حلب ودمشق، ثم ركب البحر من عكّا عائدًا إلى الأندلس في سفينة نصرانية أرست به بعض الوقت في صقلية. ووصل قرطاجنة الخلفاء بساحل الأندلس الشرقي في ١٥ محرم ٢٥/٥٨١ أبريل ١١٨٥، ومنها إلى غرناطة و قام ابن جبير بعد ذلك برحلتين أخريين إلى المشرق بدأ الأولى منهما في سنة ١١٨٩/٥٨٥ وعاد منها سنة ١١٩١/٥٨٧، وقام بالثانية في عام ١٢١٧/٦١٤ وأدركته منيته في الإسكندرية خلال هذه الرحلة الأخيرة.

وقد سجل ابن جبير مشاهداته في «رحلته» المشهورة (نشرها رايت في ليدن سنة ١٨٥٢، وأعاد نشرها دي خويه عام ١٩٠٧)، وهي أشبه بيوميات سفر صاغها ابن جبير في أسلوب بارع، وصور فيها بكلام سهل بسيط الأحاسيس التي اعتلجت في نفسه في المواضع التي زارها، أو عند مشاهدته الآثار الّتي رآها، وأسلوبه سَلِسٌ جزل ينُمّ على موهبة أدبية أصيلة وعلى خلقه الحازم الوقور[١٩].

ومن فقراته البديعة، تلك التي يصف فيها عاصفة هبت على سفينته وكادت تغرقها على مقربة من سواحل صقلية، وإليك هذه الفقرة :

«... ونحن الآن - بفضل الله تعالى - نتطلع البُشرى بظهور بر صقلية إن شاء الله. وفي النصف من ليلة الأحد الحادي عشر منه (شعبان ٥٧٨) انقلبت ريح غربية، وكشف النوء من المغرب، وجاءت الريح عاصفة، فأخذت بنا جهة الشمال. وأصبحنا يوم الأحد المذكور والهول يزيد، والبحر قد هاج هائجه وماج مائجه، فرمى بموج كالجبال، يصدم المركب صدمات يتقلب لها على عظَمه تقلب الغصن المرطب -

وكان كالسور علوًّا - فيرتفع له الموج ارتفاعًا يرمى في وسطه بشآبيب كالوابل المنسكب. فلما جنَّ الليل اشتد تلاطمه، وصكت الآذان غماغمه، واستشرى عُصوف الريح، فحُطَّت الشرع، واقتصر على الدلالين الصغار دون أنصاف الصواري ووقع اليأس من الدنيا، وودعنا الحياة بسلام. وجاءنا الموج من كل مكان، وظننا أنَّا قد أحيط بنا. فيا لها من ليلة يشيب لها سواد الذوائب، مذكورة في ليالي الشوائب، مقدمة في تعداد الحوادث والنوائب، ونحن منها في مثل ليل صَوْلٍ طَوْلٍ. فأصبحنا ولم نكد، فكان من الاتفاقات الموحشة أن أبصرنا إقريطش عن يسارنا وجباله قد قامت أمامنا - وكنَّا قد خلفناه عن يميننا - فأسقطتنا الريح عن مجرانا ونحن نظن أنا قد جُزناه، ؛ فسقط في أيدينا، وخالفنا المجرى المعهود الميمون، وهو أن يكون البر المذكور منَّا يمينًا في استقبال صقلية فاستسلمنا للقدر، وتجرَّعنا غصص هذا الكدر، وقلنا:

سيكون الذي قضى سخط العبد أم رضي»[٢٠]

ف٩٩- العبدري - الجغرافيون في العصر الغرناطي

أبو محمد العبدري من أهل بلنسية، طاف بنواحي المغرب والأندلس في سنة ٦٨٦ /١٢٨٨، وسجَّل مشاهداته في كتابه «الرحلة المغربية». وقد بدأ رحلته تلك من حاحة في بلاد السوس، ووصل إلى مكة عن طريق البر، وكر راجعًا ونزل الإسكندرية، ثم قطع المغرب إلى ساحل المحيط وهو يشبه ابن بطوطة في طريقة روايته لأخبار رحلته؛ ولكنَّه تكلف أسلوبًا شديدًا يبدو فيه الغوص وراء الألفاظ، فأضاع الجزء الكبير من قيمة «رحلته» - على خلاف ابن بطوطة الذي يكتب في أسلوب سهل لطيف - ووصفه لتونس وما رآه فيها لطيف جميل[٢١].

ومن الجغرافيين النابهين الذين وسعهم الأندلس على بن سعيد المغربي، وقد تحدثنا عنه آنفًا (ف٧٩).

ومن رحّالة الأندلس في العصر الغرناطي أبو عمر عبد الله بن رشيد بن النوشريسي، الذي جاب نواحي المغرب ومصر والشام في سنة ١٢٧٤، وسجّل مشاهداته في «رحلة» لدينا منها بضع نسخ مخطوطة، وهو يورد في سياق كلامه تراجم من لقي من أهل الأدب، ويتحدث لنا عما شهد من مجالس أهل العلم وما زار من المكتبات. ومنهم كذلك ابن رشيد السبتي الفهري الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد، ٦٥٨-٧١١/١٢٦٠-١٣١٢) من أهل سبتة، وكان ضليعًا في الحديث وخطيبًا بليغًا، وله شروح وتعليقات على كتب الضبي وابن الأبار، وله رحلتان مشهورتان: **الأولى**: طاف فيها بنواحي المغرب، وزار في **الثانية** الأندلس؛ وقد أورد في تضاعيف كلامه إشارات نافعة عن الأدب والتاريخ الطبيعي، وله كذلك مصنفات في تراجم محدثي الأندلس وفقهائها وشروح على صحيحي البخاري ومسلم[٢٢].

ومنهم كذلك ابن جابر (أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم، المتوفى سنة ٧٤٦/١٣٤٥) من أهل وادي آش، وقد سكن تونس معظم أيامه، وهو من شيوخ ابن الخطيب، وله رحلة أورد في ثناياها ما كسبه من الفوائد الأدبية خلال أسفاره (لدينا منها نسخة في الإسكوريال). ومنهم البلَويّ (أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد) من أهل قنتورية، وقد طاف بنواحي المغرب والمشرق فيما بين سنتي ٧٣٦ و ٧٤٠/١٣٣٥ و ١٣٣٩، وكتب رحلته في أسلوب تكلف فيه الإغراب والتفصُّح وسطًا على بعض السابقين فأدرج قطعًا من مؤلفاتهم في كلامه دون أن يشير إلى ذلك؛ وقد نقده ابن الخطيب وعاب عليه ذلك. وقد أورد وصف رحلته في كتابه المسمى «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق».

أما رحلات ابن بطوطة (أبي عبد الله محمد بن محمد اللوتي الطنجي) [٢١] فقد قام بتدوينها ابن جُزَيّ (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ٧٢١-٧٥٧/١٣٢١-١٣٥٦) وهو من أهل غرناطة، وكان من رجال أبي الحجاج يوسف بن

الأحمر صاحب غرناطة، وقد عهد إليه في صياغة رحلات ابن بطوطة لما اشتهر عنه في الظهور في الأدب والشعر والتاريخ واللغة والفقه؛ وقد أتمَّ كتابتها في ثلاثة أشهر، معتمدًا على ما سجله ابن بطوطة من الملاحظات.

ونجد في كتابات الموريسكيّين بعض كتب الرحلات، منها وصف رحلة إلى مكة كتبه صاحبها بنفسه في الكتاب المسمى «رباعيّات حاجٍّ بوي مونثون» Coplas del Alhichante de Puey Monzon .